أقصوصة من الأدب الإنكليزي بقلم

الشاعر

[جائزة نوبل]

للأستاذ صلاح الدين المنجد

مشى يتخلّع ثملاً فى حنايا المدينة ، وقد أغفى الليل وسجا السكون ، فطرق سمعَه نغمٌ حلوٌ يصعّده ناى حزين. فسعى إليه، جذلان طرباً . فقد كان للأنغام أثر فى نفسه، وسلطان على حسه، وسيطرة على هواه ...

فلما جاز بالدار التى ترسل النغمات ... نادى صاحبها ، فقام إليه يندى وجهه فرحاً ، فرحب به وقال له :

— ما هذا الهجران الطويل يا هانرهان ... فلقد صرمتَ حبالنا منذ بعيد ، فنحن بعدك فى شوق يلح ، وكآبة تضنى ... أهلاً ... أهلاً حللت يا هانرهان ... !

فلكزته زوجه بمجمع كفها ، وهمست فى أذنه : أن اطرده ، فإن الناس يتقولون الأقاويل عليه ، وإن الكهنة يقصونه عن المعبد كلما أتى إليه ... ثم إنه ثمل ... دعه ... دعه يمض وحيداً

فصاح بها زوجها قائلاً : « أأطرده أن جاء إلىّ بعد سنين طويلة ... ؟ إنه شاعر رقيق القلب ، طيب النفس

ودخل الشاعر الدار يتبع ربها ... فقاده إلى غرفة تكدّس الناس فيها من الجيران ... فغشيها وقد شخصت الأبصار إليه . وقال فتى كان هناك :

— أليس هذا هانرهان الذى ذاع صيته ... وكان معلماً فطردوه ... ؟

فأخرسته أمه وقالت له :

— لو أنه سمع مقالتك لاندرأ عليك سبّاً وشتماً ... أنصت !

وساد السكون ... ولكن أحد الفتيان نادى الشاعر لينشد القوم شعراً . فأبى رب الدار ذلك عليه ... لأنه لم يصب بعد من الراح شيئاً ، ولم ينل من الراحة قسطاً . فأخذ الشاعر يعب الخمر وقد جاشت فى كأسها ... ثم يحول بصره نحو الباب لينظر إلى (وانا) فتاة الدار ، وقد أتت تعانق حزمة من الحطب الجزل ، لتؤرث بها النار ، وشعرها الأشقر الجعد متهدل على وجهها وعينيها

وقام إليها الفتيان مسرعين ليأخذوا منها الأعواد . ولكنها رمت بها إلى الموقد ... وانثنت وثغرها المرفاف يضحك لترقص مع فتى لها ، فغضب الشاعر ... وضرب الأرض ، ثم دفع بالفتى وهو يزبد صائحاً :

— لقد قطعت طريقاً طويلة ، وأتيت لأراها ... فأنا الليلة فتاها ...

وأسرعت (وانا) إلى الشاعر فمدت إليه يديها والخجل يعلو خديها ... وعزفت الموسيقى ، وقام الناس ليرقصوا ... ولكن وا أسفاه ... لقد انحنى الشاعر فرأى حذاءه الذى حال لونه وبلى فبدت من خلاله أصابع رجليه التى نفذ إليها الطين ، وأبصر سرواله الممزق ، وساقه العارية المملوءة بالشعر الأسود الغليظ ... فارتد إلى مكانه وهو يقول :

— لا أستطيع الرقص والموسيقى تسرع

ولها الناس ، وجنّت الموسيقى ، وعربدت الأنغام ... والشاعر جالس مع (وانا) يقص عليها أحلى الأقاصيص

* * *

وأدركت الأم خطر الشاعر الذى يريد أن يسحر الفتاة ... فنادتها ولكنها أعرضت عنها ... فأقبلت الأم على الموقد تتظاهر بتأريث النار ، وتصغى إلى حديث هانرهان . لقد سمعته يحدثها عن « دردر » ذات الأيادى البيض ... التى قادت الأمراء إلى الموت فماتوا وجداً بها وهياماً . وأحزنها فقدهم ... فطفقت تبكى ... آه يا (وانا) ... إن الأزهار تذرف الدمع فى السحر حزينات رحمة بها،

وإن الشعراء يتغزلون ويكون لها... ما كان أجلها وأعذب صوتها يا (وانا)!

واضطربت الأم، وأرهفت أذنها. إنه يقول لها: «مَثَلُ الشمس والقمر يا (وانا) كمثل المرأة والرجل، خلقا ليتحابا... ألا تنظرين إليهما يتنقلان فى السماء؟ لقد خلقت يا (وانا) معى قبل أن يخلق الله الناس لكى نرقص بين طيّات السحاب الرقيق... نرتفع مع النغم الهادئ، ونهبط مع النشيد الجميل بخفة وسرور، على حين يسقط الناس صرعى لاغبين!»

وانتصبت المرأة مضطربة الشعور، ومشت إلى زوجها وهو يلعب الورق، فحدثته حديث الشاعر والفتاة.. ولكنه ازورّ عنها يضحك منها. فأحزنها الأمر، وقامت إلى عجوز فقصت عليها نبأ (وانا) مع الشاعر المخيف: «ويلى كيف السبيل إلى طرده... إنه ساحر ملعون... فلأحرضنّ الفتيان عليه!»

وجاءت إلى الفتيان وقالت لهم: «ويحكم... ألا تستطيعون نزع ابنتى من هذا الشاعر فترقصوا معها... هيا... هيا!»

وقام الفتيان.. ولكنهاردتهم خائبين.. فالوا إلى الشاعر يلحون عليه فى الرقص.. فأذعن بعد لأى.. وانتصب يرقص مع الفتاة..

وبينا هو كذلك... إذ طرب... فاندفع لينشد الشعر... فخرست القيثارة... وأنصت القوم وقال هانرهان:

«يا أصابع المـــوت المخيفة...!»
«لن تمسّى روحينا فى هذا المكان...»
«ولكن فى ذلك الوطن الغالى الحبيب...!»
«حيث تبسم الزهور وترفّ الثغور...»
«من رأد الضحى... حتى جنوح الأصيل.»
«حيث تدب الجداول... الجذلى...!»
«تحمل موجات الجمة العذبة الشقراء...»
«وحيث يلعب الشيخ الهمّ على الأوتار...»
«فى الغابة المليئة بالذهب والفضة...!»
«وحيث الأميرات ذوات العيون الزرق الصافية»
«يرقصن على الحشيش الغض بفرح وكبرياء...!»

كان يغنى بحماسة وشوق و(وانا) تتقرب منه، وقد حرك إنشاده شجونها وملك عليها أمرها... فلما فرغ من إنشاده... أطرقت (وانا) وسقط الدمع من عينيها ندى. فقال أحد الفتيان:

— أيها الشاعر... أين هذه البلاد التى تصفها فى شعرك؟ (وانا) إنه يخدعك... إن الطريق طويلة... والوطن بعيد!

وقال فتى آخر:

— ليست بلاد الصبا هذه يا (وانا) إنك لم تخلقى لتصاحبى هذا المجنون!

عندئذ شخصت (وانا) ببصرها إلى الشاعر الحزين... كأنها تريد أن تسأله شيئاً... ولكنها وضعت كفها بين كفيه ورفعتهما إلى أعلى... وقالت بصوت رخيم:

— إن الوطن لقريب منا... يا شاعرى... إننا نستطيع إدراكه الآن... إنه هناك.. على ذرى الهضاب ذات الرفيف.. بالقرب من الغاب التى تأويها الريح ذات الزفيف...

فصاح الشاعر:

— نعم فى ذرى الهضاب... يا فتاتى... ياذات العيون الزرق... ولكن الموت لن يجدنا... هناك... لأننا نختفى بين السحاب الأبيض الجميل..!

وانا..! ياذات العيون الزرق... هل تريدين المجئ معى..؟

وذعرت الأم وقالت لعجوز كانت إلى جانبها:

— كيف السبيل يا جارتى إلى طرده؟

— ولكننا لا نستطيع... إنه شاعر الآلهة، ومن يطرده تنصب عليه اللعنات تترى فى الغدوات والعشيات! ثم يجف الضرع ويموت الزرع، وتهلك النفوس..!

— ربّاه عونك! إن فى لسانه السحر..

— كان عليك طرده.. ولكن.. اسمعى.. تعالى.. سنخرجه وهو راض عنا، تعالى..

وخرجت العجوزان ثم عادتا تحملان حزماً من الفِصْفِصة الخضراء، وكان الشاعر يكلم (وانا) ويقول:

— «إن الديار يا وانا ضيّقة والعالم فسيح، ولن تجدى يا فتاتى مخلوقاً تيّمه الحب، يخاف الليل أو الفجر، والشمس أو النجوم، وأشباح الأماسى وأطياف الأسحار، هيّا يافتاتى.»

واقتربت الأم من الشاعر فربتت على كتفه وقالت له:

— هات يدك يا هانرهان..

وقالت العجوز:

— أنت قوىّ يا هانرهان... ساعدنا على ربط هذه الحزم الخضر...

وتقدّم الشاعر يربط الحزم بحبل والعجوزان تفكّان العقد